

# التواصل الاجتماعى والبحوث الاجتماعية

## منهجية التتوجرافيا

### "الأساليب والإجراءات"

ناهد صالح \*

التتوجرافيا منهجية حديثة نسبياً فى مجال البحوث الكيفية، وضعت لدراسة مجتمعات الإنترنت وثقافتها، بهدف الوصول إلى الاستبصارات الثقافية لفهمها. وتأتى هذه الورقة العلمية، امتداداً لورقة سابقة تناولنا فيها التتوجرافيا من حيث البدايات الأولى لنشأتها، منذ منتصف تسعينيات القرن العشرين.

فى هذه الورقة نتناول منهجية التتوجرافيا من ثلاثة أبعاد؛ البعد الأول وفيه نؤكد أن جوهر التتوجرافيا هو اعتمادها أساساً على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، وفى هذا الصدد نميز بين التتوجرافيا التى تكتفى بالأخذ بأسلوب الملاحظة المحضة، والتتوجرافيا الحقة التى تتخذ من الملاحظة بالمشاركة أساساً لمنهجيتها، ويوضح البعد الثانى الخطوات المنهجية للبحث التتوجرافى، فى حين أن البعد الثالث يلقى الضوء على الإمكانيات والحدود المنهجية للتتوجرافيا؛ موضحين الميزات وأوجه القصور عند اتخاذها منهجية لدراسة مجتمعات الإنترنت أو ثقافتها، وتنتهى الورقة بتأكيد البعد الأخلاقى فى الأخذ بمنهجية التتوجرافيا.

\* أستاذ علم الاجتماع، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد السابع والخمسون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٠

## مقدمة

تناولنا فى مقال سابق منهجية الننتوجرافيا Netnography Methodology، من حيث كونها مدخلا للبحوث الكيفية، وبالتحديد لتلك البحوث التى تتناول التواصل الاجتماعى Social Media من خلال مجتمعات الإنترنت وثقافتها، حيث ألقينا الضوء على البدايات الأولى لنشأة هذه المنهجية، والتى أرجعناها إلى<sup>(١)</sup>:

أولاً: ما ترتب على ظهور الجيل الثانى للشبكة العالمية (Web 2.0)<sup>(٢)</sup>، وشبكتاتها ومنصاتهما ومواقعها الاجتماعية، من انبثاق وظهور وتجسيد وانتشار نمط جديد من المجتمعات، والتى أطلق عليها فى البداية المجتمعات الافتراضية، ثم لم يلبث أن استبدل مصطلح "المجتمع الافتراضى" Virtual Community بمصطلح مجتمع الإنترنت Internet Community، ثم أصبح مصطلح Online Community هو المصطلح الشائع استخدامه فى الكتابات العلمية، لمزيد من التحديد لخصائص مجتمع الإنترنت الذى تختص الننتوجرافيا بدراسته<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: إدراك عدد من العلماء والباحثين أنهم أصبحوا إزاء بدء تشكل ظاهرة اجتماعية حديثة ومتفردة، نشأت نتيجة للتواصل الاجتماعى من خلال الاتصالات التى يتوسطها الحاسب الآلى Computer Mediated Communication (CMC) أو الشبكات الإلكترونية بعامة،<sup>(٤)</sup> سيكون لها أثرها وتأثيرها على الحياة الاجتماعية، على الحياة الحقيقية Real Life (RL)، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، وسيكون لها القدرة على تغيير الواقع والمجتمع، بمختلف أبعادهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأن هذه الظاهرة لن تغير العالم فحسب، وإنما ستغير أيضاً الطريقة التى يتغير بها العالم<sup>(٥)</sup>.

من هذا المنطلق، وإذ أدرك هؤلاء العلماء والباحثون، أنه لا بد من المبادرة ببحث هذه الظاهرة، أدركوا في الوقت ذاته، أنه نظرًا لاختلاف هذه الظاهرة الحديثة عن غيرها من الظواهر الاجتماعية التي درجوا على دراستها في العالم الحقيقي Real World، إذ توجد وتتواجد في "العالم الافتراضي Virtual World"، فإنه لا بد من إبداع المنهجيات الملائمة لدراساتها، أو على الأقل تطوير المنهجيات التقليدية لتصبح ملائمة وصالحة لذلك.

وقد توجت جهود هؤلاء العلماء والباحثين، من خلال كتاباتهم النظرية وبحوثهم الميدانية - منذ أواخر القرن العشرين، وخلال فترة التسعينيات تحديدًا - بالتوصل إلى ابتكار منهجية الننتوجرافيا باعتبارها المنهجية الملائمة، والأكثر صلاحية، لدراسة مجتمعات الإنترنت، وعمليات التواصل الاجتماعي بين أعضائها، وبين بعضها البعض، من منظور ثقافي، مسترشدين في ذلك بمنهجية الإثنوجرافيا Ethnography، وتطبيقاتها في الأنثربولوجيا الثقافية بالتحديد، في اشتقاق الكثير من تقاليدها وأساليبها وإجراءاتها وممارساتها المنهجية، بعد تطويرها بما يلائم فضائيات التواصل الاجتماعي Social Media Spaces بعامّة، ومجتمعات الإنترنت وثقافتها في سياقات وجودها وتجسدها في العالم الافتراضي بخاصة<sup>(٦)</sup>.

إذا كنا قد أوضحنا في الورقة العلمية السابقة، البدايات الأولى لنشأة منهجية الننتوجرافيا، فإن الورقة العلمية الحالية تخطو الخطوة التالية لذلك، بتناولها للأساليب والإجراءات المنهجية للننتوجرافيا؛ فتبدأ بتناول الرؤى المتنوعة بالنسبة لتحديد جوهر هذه المنهجية، متمثلة في اختيار الأسلوب المنهجي الأساسي الذي تقوم عليه منهجية الننتوجرافيا، والمحدد لأنماط بحوثها، ثم تنتقل إلى عرض الخطوات المنهجية التي على البحث الننتوجرافي أن يلتزم باتباعها، لتحقيق قيمته العلمية ووضعه في منظومة البحوث الكيفية من جهة، وليكتسب

صفته وأحقيته في أن يوصف بأنه بحث ننتوجرافي من جهة أخرى، تمييزاً له عن البحوث الاجتماعية الأخرى، الكمية والكيفية، التي تتناول التعامل أو التفاعل مع الإنترنت وفضائيات التواصل الاجتماعي بعامة، معتمدة في ذلك على المنهجيات والأساليب المنهجية التقليدية للبحوث الاجتماعية. ثم تنتهي هذه الورقة بإلقاء الضوء على إمكانات وحدود منهجية الننتوجرافيا، كمنهجية حديثة نسبياً، لا تزال قابلة للتطور والارتقاء، لتحقيق المزيد من الاستبصارات الثقافية والفهم لظاهرة التواصل الاجتماعي في فضائيات التواصل الاجتماعي بعامة، ولتجسدها في مجتمعات الإنترنت وثقافتها بخاصة.

### **أولاً: الننتوجرافيا وأساليبها المنهجية**

يتبين من الاطلاع على البحوث الننتوجرافية التي تتناول ظاهرة التواصل الاجتماعي كما تحدث على الإنترنت، وتنطلق في دراستها من بحث مجتمعات الإنترنت وثقافات الإنترنت، وفضائيات التواصل الاجتماعي بعامة، أن الأساليب المنهجية للبحث التي تتبعها هذه البحوث، تعكس اختلافاً في رؤية جوهر منهجية البحث الننتوجرافي؛ من حيث ما إذا كانت هذه المنهجية تقوم أساساً على أسلوب الملاحظة بالمشاركة Participant Observation، أم أنها تقتصر فقط على أسلوب الملاحظة دون مشاركة من جانب الباحث في المجتمع محل دراسته، أي على أسلوب الملاحظة المحضة Pure Observation.

فرغم مرور ما يزيد على العشرين عاماً على بداية طرح الننتوجرافيا كمنهجية لدراسة المجتمعات الافتراضية<sup>(٧)</sup>، وعلى اتخاذ مجتمعات الإنترنت وثقافات الإنترنت مرتكزاً أساسياً في بحوثها عن التواصل الاجتماعي، إلا أن جوهر منهجية الننتوجرافيا لا يزال محلاً للخلاف بين العديد من العلماء والباحثين في هذا المجال.

يتجسد هذا الخلاف الجوهرى فيما يطلق عليه النتوجرافيا التى تقوم على الملاحظة Observational Netnography، أو توصف بأنها نتوجرافيا سلبية Passive Netnography، فى مقابل النتوجرافيا التى تقوم على الملاحظة بالمشاركة Participatory Netnography، والتى توصف بأنها نتوجرافيا نشطة أو إيجابية أو فاعلة<sup>(٨)</sup> Active Netnography، الفرق الأساسى الذى يميز بين نمطى النتوجرافيا، هو أن الأولى تكتفى فى جمع بياناتها بالاعتماد على أسلوب الملاحظة فقط، فهى إذ تبحث فى ظاهرة التواصل الاجتماعى، وفى عمليات التواصل الاجتماعى التى تجرى بين أعضاء مجتمع الإنترنت، وفى فضائيات التواصل الاجتماعى سواء عن طريق المناقشات أو الحوارات، أو عن طريق الرسائل أو المدونات أو غيرها من أساليب التواصل الاجتماعى المقروءة، أو المسموعة، أو المرئية، أو المسموعة والمرئية معاً، تعتمد فى جمع بياناتها الميدانية على أسلوب الملاحظة فقط، دون مشاركة من جانب الباحث مع أعضاء مجتمع الإنترنت فى هذه الحوارات أو المناقشات، أو فى غيرها من أساليب وصور التواصل الاجتماعى الأخرى، بل ويحدث هذا دون معرفة من جانب أعضاء هذا المجتمع بأنهم خاضعون لملاحظة الباحث، ومن هنا يشبه دور الباحث فى هذه الحالة بدور المتلصص Lurker، وتصبح الملاحظة هنا لها خاصية اختلاس النظر أو التلصص Voyeuristic Quality، فالباحث هنا يتسلل إلى مجتمع الإنترنت، ويقوم بالتلصص على ما يدور به، دون علم أو دراية من جانب أعضاء هذا المجتمع<sup>(٩)</sup>.

ويشبه البعض أسلوب الملاحظة هذا بأسلوب تحليل المضمون أو المحتوى، رغم الاختلاف الجوهرى بينهما، حيث إن النتوجرافيا التى تعتمد على أسلوب الملاحظة فقط، تتعامل مع التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت ليس كمجرد "محتوى"، وإنما كتفاعل اجتماعى وكتعبير لمعانى مضمرة، وكمنتج

ثقافى، ومن هنا فإن بؤرة اهتمامها هى الوصول إلى الاستبصارات الثقافية<sup>(١٠)</sup>. ومن ثم فإن البعض يصف تحليل المضمون بأنه تحليل مضمون غير مشارك Unengaged Content Analysis، ويعتبر البعض الآخر أنه من غير الدقة وضعه والنتوجرافيا على المستوى نفسه<sup>(١١)</sup>.

ويذهب أنصار النتوجرافيا التى تعتمد على أسلوب الملاحظة أسلوبًا لجمع بياناتها إلى الإغلاء من قيمتها العلمية، إذ يتم التأكيد فى وصف النتوجرافيا فى هذه الحالة بأنها "طبيعية"، "وغير متحيزة" حيث تلاحظ مجتمع الإنترنت، والسلوك التلقائى والمعتاد لأعضائه، وعمليات التواصل الاجتماعى بينهم فى أحوالها الطبيعية، وتستبعد تمامًا تأثير وجود الباحث على مجريات ومضمون المناقشات والحوارات والتفاعلات... وعلى عمليات التواصل الاجتماعى بعامه، وهو وضع لا يتحقق فى حالة استخدام الكثير من أساليب البحث الكمية والكيفية الأخرى، والتى يأتى فى مقدمتها أسلوب الملاحظة بالمشاركة<sup>(١٢)</sup>.

من هذا المنطلق، يعدد أنصار اعتماد النتوجرافيا على الملاحظة دون المشاركة، الميزات التى تنتج عن اتباع هذا الأسلوب؛ بدءًا من الدراسة الموضوعية، غير المتحيزة، والمتميزة بالمصداقية أو هى بالأحرى محل ثقة فيها، مرورًا بقدرة هذا النمط من النتوجرافيا وتفردته بإمكانية دراسة الموضوعات والقضايا ذات الحساسية الشخصية أو السياسية، أو الاجتماعية، أو القانونية، أو الأخلاقية، وتلك الموضوعات والقضايا الخاصة بالفئات المهمشة، أو المنبوذة اجتماعيًا، أو المجرمة قانونيًا - إذ تناقش هذه الموضوعات والقضايا بين أعضاء مجتمع الإنترنت دون خشية من جانبهم، حيث يكون هناك حرص على إخفاء هوية أعضائه، وعدم الكشف عنها - وانتهاءً بتميز هذا النمط من النتوجرافيا بالسهولة والسرعة فى إجراء البحث وإنجازه، فضلًا عن محدودية

الجهد العلمى الذى يبذله الباحث، وانخفاض أو انعدام التكلفة المالية التى يتكبدها<sup>(١٣)</sup>.

ومع تزايد وتكاثر البحوث التى تتناول مجتمعات الإنترنت فى دراسة التواصل الاجتماعى، والتى تعتمد تمامًا على أسلوب الملاحظة باعتبار أنه هو أسلوب البحث الننتوجرافى، بدأ يظهر فى هذا المجال العلمى اتجاه علمى قوى يطرح ويروج لنمط الننتوجرافيا التى تعتمد فى منهجيتها أساسًا على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، فالننتوجرافيا تؤسس منهجيتها على البحث الميدانى الذى يجرى عبر الإنترنت من خلال الملاحظة بالمشاركة<sup>(١٤)</sup>. ومن ثم يستبعد أنصار هذا الاتجاه الادعاءات بوصف البحوث التى تعتمد على أسلوب الملاحظة، بأنها بحوث ننتوجرافية. وقد وصل الأمر بالبعض منهم إلى إدراجها تحت نمط "البحث الأرشيفى Archival Research"، فهى أقرب إلى هذا النمط من البحوث منها إلى البحوث الننتوجرافية، وذهب البعض الآخر إلى اعتبارها بمثابة البحث الاستقصائى عبر الإنترنت Investigative Research on the Internet (IRI)<sup>(١٥)</sup>، وذهب البعض الأخير إلى أن هذه البحوث التى تقتصر على أسلوب الملاحظة، وإن كانت تشبه البحوث الننتوجرافية فى جانب من منهجيتها إلا أنها ليست مطابقة لها، ويرجع ذلك إلى أن كلاً منهما يستخدم أسلوب الملاحظة، إلا أن الأولى تعتمد عليه تمامًا باعتباره الأسلوب المنهجى الأساسى الذى تعتمد عليه كلية فى جمع بياناتها من خلال الإنترنت، فى حين أن الثانية تعتبر أسلوب الملاحظة أسلوبًا تمهيدياً لأسلوبها المنهجى الأساسى وهو أسلوب الملاحظة بالمشاركة .

وفى مقابل تأكيد أنصار الننتوجرافيا التى تقتصر على أسلوب الملاحظة أسلوبًا لجمع بياناتها، الميزات الجمة الناجمة عن استبعاد تأثير وجود الباحث ومشاركته وتوجيه أسئلته على مجريات ومضمون عمليات التواصل الاجتماعى،

نجد أن العلماء والباحثين الداعمين للأخذ بنمط الننتوجرافيا التي تقوم أساساً على مشاركة الباحث واندماجه وتعمقه وانغماسه تماماً في مجتمع البحث وتمثله لثقافته، وتعتبر أن أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو لب البحث الننتوجرافى، وأساس اكتساب صفته بأنه بحث ننتوجرافى، يعلى من شأن وأهمية دور الباحث كملاحظ بالمشاركة، على أساس أن هذه المشاركة هي التي تحقق ما يطلق عليه الصرامة أو الدقة الكيفية Qualitative Rigor التي هي جوهر البحوث الكيفية<sup>(١٦)</sup>؛ إذ تكمن فعالية المنهجيات الكيفية فى أهمية التواجد الإنسانى للباحث، والاتصال والتواصل الشخصى له مع أعضاء المجتمع، والمشاركة والاندماج والانغماس فى هذا المجتمع، وتفهم وتمثل ثقافته، بحيث يكتسب الباحث المعرفة والخبرة التي تولد لديه الشعور بأنه أصبح كأحد أعضاء هذا المجتمع، وهو الأمر الذى دعا البعض إلى استخدام مصطلح الخبرة بالمشاركة Participant Experience بدلاً من مصطلح الملاحظة بالمشاركة Participant Observation<sup>(١٧)</sup>.

بناءً على ما تقدم، فإنه يمكن اعتبار أن البحوث الننتوجرافية تقع على متصل، يمثل أحد قطبيه البحوث الننتوجرافية التي تعتمد فى جمع بياناتها على أسلوب الملاحظة المحضة، ويمثل القطب الثانى البحوث الننتوجرافية التي تعتمد فى جمع بياناتها على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، والتي يصل فيها مستوى مشاركة الباحث إلى أن يصبح عضواً فى المجتمع محل دراسته. وبين هذين القطبين تقع أنماط البحوث الننتوجرافية كافة، وفقاً لدرجة اقترابها من هذين القطبين أو ابتعادها عنهما، أى وفقاً لمدى درجة اندماج وانغماس الباحث فى المجتمع محل دراسته؛ من باحث يوصف دوره بأنه دور الملاحظ السلبى، إلى باحث يوصف دوره بأنه باحث فعال، بل ومضيف إلى المجتمع والثقافة محل دراسته، مع كل ما يرتبط بهذين الدورين من قضايا علمية وأخلاقية.



## ثانياً: النتوجرافيا وخطواتها المنهجية

بناءً على التوجه الحديث فى بحوث التواصل الاجتماعى، والذى يتخذ من النتوجرافيا منهجية لها، ومن أسلوب الملاحظة بالمشاركة الأسلوب الأساسى لهذه المنهجية، وتجنباً للبس السائد فى تحديد هوية البحث النتوجرافى فى صورته المكتملة، وتمييزاً له عن أنماط البحوث الاجتماعية الأخرى التى تتناول الإنترنت والتعامل معه، كان لا بد من تحديد الخطوات المنهجية التى يتبعها الباحث فى إجراء بحثه النتوجرافى.

لا شك أن تناول الخطوات المنهجية للبحث النتوجرافى، بجانب تحديده لهوية النتوجرافيا وثوابتها كمنهجية علمية للبحوث الاجتماعية الكيفية، التى تتناول مجتمعات الإنترنت بخاصة، وفضائيات التواصل الاجتماعى بعامة، فهو من شأنه أن يعزز وجودها وانتشارها كمنهجية مستقرة، ويكسبها شرعيتها.

لم يكن مثيراً للدهشة، أن يأتى تحديد الخطوات المنهجية للبحث النتوجرافى من جانب أحد الباحثين الذى يرجع إليه الفضل فى طرح مصطلح النتوجرافيا، والترويج له، وتأكيد اتخاذ أسلوب الملاحظة بالمشاركة أساساً لمنهجية البحث النتوجرافى، هذا الباحث هو روبرت كوزينتس Robert V. Kozinets، الذى يعد أول من حدد الخطوات المنهجية للنتوجرافيا، وأسهب فى وصف كل خطوة من هذه الخطوات، موضعاً ثوابتها المنهجية، والمحاذير والعقبات التى تعترض كل منها، بحيث أصبحت كتاباته فى هذا الشأن بمثابة "الدليل" للباحثين الذين يجرون بحوثهم عن التواصل الاجتماعى، أو عن مجتمعات الإنترنت وثقافات الإنترنت بالتحديد.

حدد كوزينتس الخطوات المنهجية للبحث النتوجرافى فى ست خطوات متداخلة، وتسلم كل منها للأخرى، وهى؛ التخطيط للبحث، الدخول Entrée أى

الدخول لمجتمع البحث، جمع البيانات، التأويل أو التفسير، ضمان توافر المعايير الأخلاقية، وأخيراً مرحلة عرض البيانات أو إعداد تقرير البحث<sup>(١٨)</sup>. نكتفى هنا بإيجاز لبعض من أهم النقاط المتعلقة بمنهجية الننتوجرافيا فى اتباعها لكل خطوة من هذه الخطوات، والتي من شأنها أن تضى على هذه المنهجية صفة العلمية والدقة معاً.

أول خطوة هى التخطيط للبحث؛ وتشمل هذه الخطوة تحديد الباحث لموضوع البحث ولأسئلة الرئيسية والفرعية التى يطرحها، بناءً على ذلك يبدأ الباحث فى اختيار وتحديد الموقع أو المواقع التى تدخل فى نطاق بحثه، وبالتحديد تلك التى من شأنها الإجابة عن التساؤلات التى يطرحها البحث.

فى هذه المرحلة يتعرف الباحث على الأشكال المختلفة والمتنوعة لهذه المواقع، والتي من شأنها أن تؤثر فى أنماط وصور أبنية عمليات التواصل الاجتماعى، وبالتالي فى طبيعة البيانات التى سيقوم بجمعها والأسلوب المنهجى الذى سيعتمد عليه فى ذلك<sup>(١٩)</sup>.

وعلى الباحث فى اختياره لموقع أو لمواقع بحثه أن يفضل؛ المواقع التى تضم عددًا كافيًا من المجتمعات والثقافات المتعلقة بموضوع بحثه، وبأسئلة الرئيسية والفرعية التى يطرحها، والمواقع التى تتميز بحركة نشطة ومكثفة من المدونات، أو الحوارات، أو المناقشات... وما إليها من صور وأشكال التواصل الاجتماعى، فضلًا عن توافر عدد أكبر من الرسائل المتفردة والمتنوعة والمختلفة الرؤى للمدونين أو للمشاركين فيها، والتي بها بيانات أكثر ثراءً وتفصيلاً، والمواقع الأكثر عددًا وتنوعًا من الأعضاء، وكلما كان الباحث أكثر تحديدًا لموضوع بحثه، ولأسئلة التى يطرحها، كان أكثر توفيقًا فى اختيار الموقع أو المواقع ومجتمعات الإنترنت التى سيجمع بياناته منها<sup>(٢٠)</sup>.

الخطوة الثانية من خطوات البحث الننتوجرافى، هى الدخول للمجتمع محل البحث، والذي يوصف بالدخول الثقافى Cultural Entrée للمجتمع<sup>(٢١)</sup>. ويستلزم دخول الباحث للمجتمع محل بحثه خطوتين؛ الأولى هى الخطوة السابقة، التى تقوم على التحديد الدقيق لأسئلة البحث، وتحديد المواقع ومجتمعات الإنترنت التى من شأنها إتاحة الإجابة عن هذه الأسئلة، والخطوة الثانية هى معرفة كل ما يتعلق بهذه المواقع أو بهذه المجتمعات التى تم اختيارها، وهنا يعتمد الباحث على أسلوب الملاحظة فى جمع بياناته التى تشكل ما يعرف بخلفية البحث أو بالبحث الخلفى Background Research، التى توصف بأنها الخطوط الأساسية الثقافية Cultural Baselines للبحث، والتى تتضمن بجانب نوع البيانات الاجتماعية التى يتيحها الموقع - ومن ثم توجه الباحث نحو أسلوب أو أساليب جمعها وتجهيزها- فهى أيضا تمد الباحث ببيانات كافية عن الموقع، وعن المشاركين فيه، وعن الآليات الاجتماعية التى يسير وفقاً لها. فضلاً عن ذلك فهى توضح له كل ما يتعلق بالموقع وبأبنيته الاجتماعية، وقواعد التعامل وطرق وأساليب التخاطب أو التواصل فيه بعامه، فضلاً عن كل ما يتيح أسلوب الملاحظة من بيانات بشأن الهويات والطقوس والتقاليد وكل ما من شأنه أن يجعل الباحث على ألفة بخصائص مجتمعات الإنترنت هذه وبمواقعها، مما يسهل عملية الدخول الثقافى الناجح لبيئة التواصل الاجتماعى. جميع هذه البيانات بيانات أرشيفية يحصل عليها الباحث عن طريق شبكة الإنترنت<sup>(٢٢)</sup>.

ولا شك أن مرحلة الدخول لمجتمع البحث والإعداد لها، تعد على جانب كبير من الأهمية، فدون الدخول للمجتمع، وتحقيق قبول وتعاون أعضاء المجتمع، تصبح عملية جمع البيانات عملية مستحيلة تماماً<sup>(٢٣)</sup>.

متى نجح الباحث في دخول مجتمع البحث، تبدأ المرحلة المنهجية الأساسية في البحث الننتوجرافى، وهى الخاصة بجمع البيانات الميدانية باستخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة، وهى مرحلة تختلف تمامًا عن مرحلة جمع البيانات عبر الإنترنت باستخدام أسلوب الملاحظة، والتي شكلت خلفية للبحث، فدور الباحث هنا يكون دورًا معلنًا ومعروفًا لأعضاء المجتمع، بل دورًا إيجابيًا، وهو دور المشارك في هذا المجتمع، وفي بعض الأحيان ينضم الباحث إلى مجتمع دراسته كعضو فيه، قبل أن يبدأ حتى في استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة في جمع بياناته<sup>(٢٤)</sup>.

لعل النقطة المنهجية الجوهرية في هذه المرحلة من مراحل البحث الننتوجرافى هى تأكيد أمرين أساسيين: الأول هو أنه عندما يجمع الباحث بياناته، أو يدون ملاحظاته الناجمة عن مشاركته في المجتمع أو ملاحظته له، فعليه مراعاة تسجيل الوقت الفعلى لحدوث الحدث والسياق الثقافى لحدوثه، الأمر الثانى: هو أن يعى الباحث تمامًا أن فهم وتفسير الحدث، لا يعبر عن فهم الباحث أو تفسيره له، وإنما هو فهم أعضاء المجتمع وتفسيرهم له. وهذه نقطة بالغة الأهمية، على الباحث أن يراعيها، سواء في مرحلة تسجيل أو جمع البيانات، أو في مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها، أو في مرحلة إعداد تقرير البحث، إذ يتم تنبيه الباحث صراحة لمراعاة ذلك "لا تفترض أبدًا أنك تعرف أكثر من معرفة المجتمع بثقافته"<sup>(٢٥)</sup>.

ومتى انتقل الباحث الننتوجرافى من مرحلة جمع البيانات إلى مرحلة تحليل البيانات، وهى تمثل الخطوة الرابعة من الخطوات التى حددها كوزينتس للبحث الننتوجرافى، يصبح متوافرًا لديه ثلاثة أنواع من البيانات<sup>(٢٦)</sup>:  
النوع الأول من البيانات: هى البيانات المسجلة أو البيانات الأرشيفية Archival Data، والتي يحصل عليها الباحث مباشرة من شبكة الإنترنت، ولا

يكون له أى دور فى وجودها أو فى إنتاجها، إذ يقتصر دور الباحث هنا على دور الملاحظ دون دور المشارك، ومن هنا تعرف هذه البيانات أيضاً بأنها بيانات تم الحصول عليها بالملاحظة Observational Data<sup>(٢٧)</sup>.

النوع الثانى من البيانات: هى البيانات المستخرجة Elicited Data، وهى البيانات التى يحصل عليها الباحث نتيجة لعمليات التواصل الاجتماعى، أو التفاعل الاجتماعى بين الباحث وأعضاء المجتمع، سواء استخدم فى ذلك أسلوب الاستبار عبر البريد الإلكتروني أو الاستبار السمعى المرئى Audiovisual Interview، أو غير ذلك من أساليب التواصل الاجتماعى النصى عبر الإنترنت. ومتى نجح الباحث فى إقامة علاقة وثيقة مع أعضاء المجتمع الذين يقوم باستبارهم، أى المستبرين Interviewees، فإنه يمكنه الحصول على المزيد من هذا النوع من البيانات، التى هى نتاج للتفاعل المتبادل بين الباحث وأعضاء مجتمع التواصل الاجتماعى، عن طريق الاستبار السمعى البصرى الذى يتيح له ميزات الاستبار وجها لوجه، بما فى ذلك تلك الخاصة بدلالات لغة الجسد، ونبرة الصوت وحدته، الأمر غير المتاح فى اتباع أساليب الاستبار النصية عبر الإنترنت<sup>(٢٨)</sup>.

النوع الثالث من البيانات: هى البيانات المستخلصة من تدوينات الباحث عن ملاحظاته الميدانية Field Notes Data، والتى تتضمن ما يدونه الباحث من ردود أفعاله وانطباعاته وتأملاته بشأن ما يلاحظه فى الميدان يوماً بيوم. هذا النوع من البيانات له أهميته بحيث يعتبره البعض أهم إسهام للنتوجرافيا، ومن هنا يوصى الباحث النتوجرافى بتسجيل هذا النوع من البيانات منذ بداية اختياره لموضوع بحثه، حتى آخر مرحلة فيه؛ المتمثلة فى عرض تقرير البحث، وما يتضمنه من معلومات ونتائج، على أعضاء المجتمع محل دراسته، وحصوله على استجاباتهم وردود أفعالهم<sup>(٢٩)</sup>.

ومتى انتهى الباحث من جمع البيانات الميدانية بمختلف أنواعها، ينتقل إلى خطوة أخرى، أو إلى مرحلة تحليل البيانات وتأويلها أو تفسيرها. النقطة المنهجية الجوهرية في هذه المرحلة والتي تؤكد الصفة العلمية لمنهجية الننتوجرافيا، هي أن تستند جميع تحليلات الباحث وتفسيراته إلى البيانات التي قام بجمعها بأنواعها المختلفة، وأساساً لا بد من أن يحلل الباحث البيانات في سياقاتها، علماً بأن وحدة التحليل النهائية ليست هي "الشخص" بل "الفعل الاجتماعي"، وفي هذا تعبر الننتوجرافيا عن تحول راديكالي من الإثنوجرافيا التي تقوم على ملاحظة الناس وسلوكهم، إلى الننتوجرافيا التي تقوم على ملاحظة الأفعال النقاشية Conversational Acts ووضعها في سياقها<sup>(٣٠)</sup>.

فإذا انتقلنا إلى المرحلة الأخيرة من مراحل البحث الننتوجرافي، وهي مرحلة إعداد تقرير البحث وعرضه. نجد أن أهم خطوة منهجية يتميز بها البحث في هذه المرحلة، هي عرض الباحث لنتائج البحث على أعضاء المجتمع محل بحثه، والذين يحرص البحث الننتوجرافي على أن يسميهم بالمشاركين Participants<sup>(٣١)</sup>، وهي خطوة منهجية على جانب عظيم من الأهمية، إذ يعتمد عليها في التأكد من مصداقية البحث، ومن سلامة وصحة تأويلاته وتفسيراته، وما تضمنه من بيانات ومعلومات ونتائج عامة، وأن وجهات نظر المجتمع قد انعكست على تأويل النتائج وتفسيرها، وهو ما يعزز الجانب الأخلاقي في البحث، ومن هذا المنطلق يرى بعض العلماء والباحثين أن يعرض الباحث إطار بحثه منذ البداية على أعضاء المجتمع محل دراسته، إذ يساعد ذلك على كسب ثقتهم، فضلاً عما يعود بالنفع على رؤيته وتصوراتهم بشأن أبعاد بحثه، هذه الخطوة المنهجية المهمة لا تتحقق بالطبع في حالة اقتصار الننتوجرافيا على أسلوب الملاحظة دون المشاركة<sup>(٣٢)</sup>.

إذا كان كوزينتس في تحديده للخطوات المنهجية الست للبحث  
النتوجرافي، قد اعتبر ضرورة مراعاة توافر المبادئ والمعايير الأخلاقية في  
البحث النتوجرافي هي الخطوة الخامسة وقبل الأخيرة الخاصة بعرض تقرير  
البحث على أعضاء المجتمع، إلا أنه يجب ألا يغيب عنا أمران: الأول أن  
المعايير والمبادئ والقواعد الأخلاقية للبحث العلمي الاجتماعي بعامة، هي  
بمثابة الخيط المتصل الذي يمتد عبر جميع المراحل المنهجية للبحث ويربط  
بينها، الأمر الثاني أن لطبيعة مجتمعات الإنترنت، ولطبيعة أبنيتها وثقافتها،  
أثرها وتأثيرها على تحديد خصوصية ومضمون هذه المعايير والقواعد والمبادئ  
الأخلاقية، ومدى حتمية الالتزام بها تجاه هذه المجتمعات وأعضائها.

ولعل النقطة المنهجية الجوهرية بشأن أخلاقيات البحث النتوجرافي، هو  
ما يثيره تنوع مواقع مجتمعات الإنترنت من حيث صفة العمومية أو  
الخصوصية، أو الجمع بين هاتين الصفتين معاً، من قضايا أخلاقية، تأتي في  
مقدمتها القاعدة الأخلاقية التي تعرف بالموافقة المستندة إلى المعرفة  
Informed Consent، حيث يوافق مجتمع الإنترنت للباحث على إجراء بحثه،  
أو يسمح له بإجرائه، بناء على معرفته بالغرض من إجرائه أساساً، وما إلى ذلك  
من معلومات خاصة بالبحث. هذه القاعدة وغيرها من القواعد الأخلاقية  
الخاصة ببحوث التواصل الاجتماعي، يختلف بشأنها الباحثون الذين يقصرون  
بحوثهم النتوجرافية على الاعتماد على أسلوب الملاحظة، والباحثون الذين  
يعتبرون أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو جوهر البحث النتوجرافي، ودون  
الاعتماد عليه لا يحق وصفه بأنه بحث نتوجرافي، أو ادعاء أنه يستخدم  
منهجية النتوجرافيا<sup>(٣٣)</sup>.

هذه الخطوات المنهجية للبحث النتوجرافي والتي طرحها كوزينتس،  
توضح تماماً أن النتوجرافيا، من منظور منظومة مناهج البحث العلمي

الاجتماعى، هى مدخل منهجى Methodological Approach لدراسة مجتمعات الإنترنت وثقافتها، أى دراسة الكيانات الاجتماعية التى تنشأ على الإنترنت، وتقوم على التواصل الاجتماعى المستمر نسبياً بين المشاركين فيها أو أعضائها، الأمر الذى ينتج، أو ينبثق عنه، ثقافة خاصة بها<sup>(٣٤)</sup>.

يتبين أيضاً من هذه الخطوات المنهجية أن مصدر بيانات المدخل الننتوجرافى هو الإنترنت؛ من خلال الشاشات والمنصات والمواقع الاجتماعية، مستخدماً فى ذلك أسلوب الملاحظة بالمشاركة- والذى يمهد له أسلوب الملاحظة-باعتباره الأسلوب الأساسى له، والذى به يكتمل المدخل الننتوجرافى، ويحصل البحث على صفته كبحت ننتوجرافى. فى الوقت ذاته، ففى إمكانية المدخل الننتوجرافى أن يستعين فى جمع بياناته من خلال الإنترنت، بأساليب بحث أخرى مضيئة لأسلوب الملاحظة بالمشاركة، فالباحث الننتوجرافى يمكن أن يجرى مسحاً اجتماعياً، وأن يستخدم أسلوب الاستبار الحر أو المقيد، وأيضاً أسلوب المناقشة الجماعية، وغير ذلك من أساليب البحث التى تصلح أو تطوع لجمع البيانات من خلال الإنترنت، والتى تظل أساليب بحث مضيئة، أو معززة، لأسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى هو جوهر المدخل الننتوجرافى<sup>(٣٥)</sup>.

نخلص من ذلك إلى أن ما يميز الننتوجرافيا كمنهجية لبحوث التواصل الاجتماعى أمران أساسيان: الأول؛ أنها تدرس الكيانات الاجتماعية التى تقوم على التواصل الاجتماعى بين أعضائها والتى تعرف بمجتمعات الإنترنت، وثقافتها والتى تعرف بثقافات مجتمعات الإنترنت، حيث يتحقق وجود هذه المجتمعات وثقافتها على الإنترنت. الأمر الثانى أن منهجية الننتوجرافيا تعتمد على الإنترنت كلية فى جمع بياناتها؛ فبياناتها يتم جمعها عما يسمى العالم الافتراضى لا عن العالم الواقعى، وأن الأسلوب الأساسى والمعتمد فى جمع بياناتها هو أسلوب الملاحظة بالمشاركة.



ومن هنا فإن البحوث التي تدرس التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، معتمدة في جمع بياناتها على المسوح الاجتماعية، أو على استخدام الاستبان سواء الحر أو المقيد، أو على المناقشة الجماعية أو المجموعة البورية، أو غير ذلك من الأساليب، معتمدة في اختيار أفراد عيناتها من المجتمع الواقعي، من المتعاملين مع مواقع التواصل الاجتماعي، لا يحق أن توصف بأنها بحوث ننتوجرافية، أو أنها تستخدم منهجية الننتوجرافيا، حيث تقتصر إلى الثابت الأساسية للمدخل الننتوجرافي وهو؛ أن مصدر بياناته هو ما يسمى بالعالم الافتراضي أو بالتحديد عالم الإنترنت، لا العالم الواقعي أو العالم الحقيقي، وأن أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو الأسلوب الأساسي لهذا المدخل.

ومع ذلك لا بد أن نشير إلى أن الننتوجرافيا وإن كانت تعتبر منهجية مكتملة ومكثفة بذاتها، إلا أن تعزيزها بأساليب بحثية أخرى- بجانب أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذي يعد جوهر هذه المنهجية- سواء التي تعتمد في جمع بياناتها على الإنترنت، أو التي تقوم بجمعها من الواقع الحقيقي، لمزيد من الفهم لظاهرة التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، من شأنه أن يدعم من إمكانات الننتوجرافيا ومن ميزات من جهة، وأن يوسع من حدودها المنهجية، أو يتغلب على بعض أوجه القصور التي تنسب لها من جهة أخرى.

### **ثالثاً: الننتوجرافيا: إمكاناتها وحدودها المنهجية**

صاحب طرح الننتوجرافيا كمنهجية للبحوث الاجتماعية التي تجرى في العالم الافتراضي، وبالتحديد تلك البحوث التي تتناول مجتمعات الإنترنت والثقافات التي أطلق عليها الثقافات السيبرينية Cybercultures، وتلك التي تنسب إلى مجتمعات الإنترنت بالتحديد Internet Cultures، فضلا عن فضائيات التواصل الاجتماعي بعامة<sup>(36)</sup> حرص من جانب العلماء والباحثين، من المهتمين بهذه المنهجية الحديثة، على رصد ومناقشة الإمكانيات المنهجية للننتوجرافيا،

استنادا إلى مقارنتها بالمنهجيات الأخرى؛ الكمية منها بعامّة والكيفية منها بخاصة، وبالتحديد بمنهجية الإثنوجرافيا التي اشتقت منها الننتوجرافيا، وأخذت منها الكثير من تقاليدھا وتوجهاتها النظرية، واتبعت العديد من تقنياتها وإجراءاتها المنهجية، واستندت إلى معظم قواعدها ومبادئها الأخلاقية في ممارساتها البحثية<sup>(٣٧)</sup>.

يتبين لنا عند محاولة تحديد إمكانات وحدود الننتوجرافيا كمنهجية، أن هناك عاملين يتحكما في تحديد الميزات التي تتميز بها هذه المنهجية من جهة، وأوجه القصور أو محدوديتها المنهجية من جهة أخرى:

الأول: هو الخاص بمجال ونطاق تطبيق منهجية الننتوجرافيا. فمجال تطبيق أو استخدام منهجية الننتوجرافيا، والتي أبدعت أو ابتكرت لتلائمها، هو العالم الافتراضي، أو عالم الإنترنت بالتحديد؛ بشائحاته، وشبكاتھ، ومنصاته، ومواقعه، ومجتمعاته وثقافته، فالإنترنت هو المجال المحدد لنطاق إجراء البحوث التي توصف بأنها "بحوث ننتوجرافية"، ومن طبيعته وخصائصه، يتحدد جانب أساسي من إمكانات وحدود الننتوجرافيا.

الثاني: هو الخاص بجوهر منهجية الننتوجرافيا وخصائصها، فمنهجية الننتوجرافيا لها خصائص تتميز بها، أو تختلف في شدتها أو في مداها، عن خصائص المنهجيات الأخرى، الكمية منها والكيفية، هذه الخصائص المميزة لها ترجع إلى أسلوب البحث الذي يمثل جوهر ولب منهجية الننتوجرافيا، وهو أسلوب الملاحظة القائم على المشاركة، والمعروف بأسلوب الملاحظة بالمشاركة، والذي باعتمادها أساساً عليه، اكتسبت منه الجانب الأكبر من خصائصها، ومن ثم من إمكاناتها وحدودها المنهجية.

ونتناول فيما يأتي إمكانات منهجية الننتوجرافيا التي ترجع إلى كل من هذين العاملين؛ الإنترنت، وجوهر منهجية الننتوجرافيا.

## ١- الإنترنت: محددًا لإمكانات منهجية التتوجرافيا

يميز التتوجرافيا عن غيرها من المنهجيات البحثية الأخرى، أنها وضعت خصيصا لدراسة العالم الافتراضى، وبالتحديد عالم الإنترنت، حيث يتجسد العالم الافتراضى بمجتمعاته وثقافته على شاشات الإنترنت، أو بقول أشمل وضعت التتوجرافيا لدراسة "الحياة على الشاشة" (٣٨).

ومن خصائص هذا العالم الذى تجرى التتوجرافيا بحوثها فى نطاقه، حصريًا، اكتسبت التتوجرافيا ثلاث من أبرز إمكاناتها وخصائصها الإيجابية، والتي تعلق من شأنها، مقارنةً بغيرها من المنهجيات البحثية، بكونها هى الأفضل، من منظور العناصر الثلاثة التى تؤثر عادةً فى اختيارات وتفضيلات الباحث لموضوع بحثه ولمنهجيته وهى: الوقت، والجهد، والتكلفة المالية.

فاتباع منهجية التتوجرافيا يستغرق وقتًا أقل بكثير من الوقت الذى يستغرقه اتباع العديد من المنهجيات الأخرى، والأخذ بمنهجية التتوجرافيا يكاد تكون تكلفته المالية معدومة، والجهد المبذول فى تطبيقها، وبالذات فى العمل الميدانى، لا يكاد يذكر، مقارنةً بنظيره فى المنهجيات الأخرى.

ومن ثم، فعند رصد هذا الجانب من إمكانات التتوجرافيا، مقارنةً بغيرها من المنهجيات الأخرى؛ الكمية والكيفية منها، فإن منهجية التتوجرافيا تتميز عنها بكونها: هى الأقل استهلاكًا للوقت، أى الأسرع إنجازًا للبحث، والأوفر تكلفةً ماليةً، والأقل جهدًا مبذولًا (٣٩).

بالإضافة إلى هذه الإمكانيات أو الخصائص المميزة لمنهجية التتوجرافيا، والتي ترجع إلى أن المجال الحصرى الذى تجرى فيه بحوثها، والذى تجمع منه بياناتها، هو مجال الإنترنت، فإن هذا المجال نفسه بخصائصه، يتيح لها إمكانيات وميزات أخرى بالنسبة للبيانات التى يتم جمعها، والاتصالات التى يتم

رصدها، من حيث الوفرة والسهولة واليسر فى الحصول عليها، فضلاً عن ما تتميز به من تلقائية، ورصدها فى سياقاتها، وحال حدوثها<sup>(٤٠)</sup>.

والإنترنت يتميز أيضاً بأنه يتيح لمنهجية الننتوجرافيا إمكانية الوصول إلى فئات وجماعات فى المجتمع يصعب الوصول إليها، مثل الجماعات أو الفئات المهمشة أو المضطهدة، وتلك التى تخشى التعبير عن رأيها وجهاً لوجه، أو الكشف عن هويتها لسبب أو لآخر، سواء أن ذلك قد يضعها تحت طائلة القانون، أو يجعلها تلقى استهجاناً أو رفضاً اجتماعياً أو أخلاقياً أو سياسياً، فضلاً عن الجماعات أو الفئات التى يحول البعد المكانى دون الوصول إليها، فى حالة المنهجيات البحثية الأخرى<sup>(٤١)</sup>.

بجانب هذه الميزات التى يتيحها استخدام الإنترنت مجالاً لإجراء البحوث الاجتماعية بعامة، والبحوث التى تستخدم منهجية الننتوجرافيا بخاصة، فإن طبيعة مجال أو بيئة الإنترنت، من حيث أنماط وخصائص ما يحتويه من جماعات أو مجتمعات وثقافات، تحدد أيضاً إمكانات وحدود هذه المنهجية؛ من منهجية مكتملة وقائمة بذاتها وكافية فى حد ذاتها، إلى منهجية مكتملة أو مساندة لمنهجيات بحثية أخرى، أو إلى كونها مجرد أداة استكشافية<sup>(٤٢)</sup>.

لما كان محتوى الإنترنت، يتضمن المجتمعات التى نشأت ووجدت وتوجد على الإنترنت، نتيجة للاتصالات التى تحدث من خلال الإنترنت بواسطة الشبكات الإلكترونية، التى من أجل دراستها وبحثها أبدعت منهجية الننتوجرافيا، كان من الطبيعى أن تحدد أنماط هذه المجتمعات إمكانات وحدود منهجية الننتوجرافيا فى بحثها.

فالنمط الأول من المجتمعات والثقافات، والتى يشملها محتوى الإنترنت، هو نمط المجتمعات التى سميت فى البداية بالمجتمعات الافتراضية Virtual Communities، ثم أصبحت تعرف بمجتمعات الإنترنت Online

Communities Online، كذلك نمط الثقافات التي سميت في البداية بالثقافات السيبرينية Cyber cultures ثم أصبحت تعرف بثقافات الإنترنت Online Cultures، فهي مجتمعات وثقافات نشأت عبر الإنترنت<sup>(٤٣)</sup>. وقد حرص روبرت كوزيننس بوصف هذا النمط من المجتمعات والثقافات بأنها مجتمعات وثقافات "خالصة أو نقية Pure"، حيث توجد حصريا على الإنترنت، ولا يوجد لها وجود فيما يعرف بالحياة الحقيقية (Real Life (RL)، فهي مجتمعات وثقافات تنشأ وتوجد فقط على الإنترنت، أو فيما يعرف بالحياة على الشاشة Life on the Screen، ومن ثم فهي مجتمعات افتراضية نقية أو خالصة Pure Virtual Communities، وثقافات سيبرينية نقية أو خالصة Pure Cybercultures<sup>(٤٤)</sup>. وفي هذه الحالة توصف النتوجرافيا بأنها نتوجرافيا خالصة أو نقية<sup>(٤٥)</sup>.

النمط الثانى من المجتمعات والثقافات التي يشملها أيضا محتوى الإنترنت هو نمط المجتمعات والثقافات التي وصفها روبرت كوزيننس بأنها مجتمعات افتراضية مشتقة Derived Virtual Communities، وثقافات سيبرينية مشتقة Derived Cyprtcultures، هذا النمط من المجتمعات ومن ثم الثقافات، هو الذى يكون وجوده فى العالم الافتراضى هو امتداداً لوجوده فى العالم الحقيقى، فهي مجتمعات وثقافات وصفت بأنها "مشتقة" أو "مستمدة" حيث إن بعض المجتمعات التي لها وجودها فى العالم الحقيقى، رأت أنه نظراً لتزايد المشاركة عبر الإنترنت، أن تمد كيائها إلى الإنترنت لاكتساب المزيد من الأعضاء والخبرات، ومن ثم نشأ هذا النمط من المجتمعات وثقافتها التي وجدت على الإنترنت، وجاء وصفها بأنها "مشتقة"، حيث ترجع أصولها وجذورها إلى مجتمعات، ومن ثم ثقافات/ لها وجودها فى العالم الحقيقى وفى الحياة الحقيقية<sup>(٤٦)</sup>.

ونظراً لطبيعة هذا النمط من المجتمعات والثقافات، فإن إمكانية  
النتتوجرافيا وميزتها كمنهجية قائمة بذاتها وكافية بمفردها لبحوثها، لا تعد قائمة  
أو متوافرة لها، حيث تعجز النتتوجرافيا عن دراسة أصول هذه المجتمعات  
والثقافات والتي توجد في العالم الحقيقي، من منظور رؤية متكاملة، تدرك أن  
فهم هذا النمط من المجتمعات والثقافات التي توجد في العالم الافتراضي، يستلزم  
دراسة أصولها وامتدادها في العالم الحقيقي، وهو ما تعجز النتتوجرافيا عن  
دراسته، ومن هنا وصفت منهجية النتتوجرافيا في هذه الحالة بأنها أداة منهجية  
Methodological Tool مساعدة، أو بقول أدق هي منهجية معززة أو مكملية  
لمنهجيات بحثية أخرى تصلح لبحث أصول أو جذور هذه المجتمعات والثقافات  
في العالم الحقيقي، الأمر الذي تعجز عنه منهجية النتتوجرافيا بمفردها، حيث  
يشكل مجال الإنترنت حدود ونطاق بحوثها<sup>(٤٧)</sup>.

بجانب إمكانات النتتوجرافيا بالنسبة لدراسة هذين النمطين من مجتمعات  
وثقافات الإنترنت، فإن النتتوجرافيا ينظر إليها باعتبارها أداة استكشافية  
Exploratory Tool في دراسة موضوعات عامة، سواء الخاصة بالآراء أو  
بالاتجاهات أو بالسلوك أو بقيادة الرأي...، والتي يعد الإنترنت مصدراً  
ليبياناتها<sup>(٤٨)</sup>.

وسواء وصفت النتتوجرافيا بأنها منهجية كاملة وكافية وقائمة بذاتها،  
لدراسة المجتمعات والثقافات التي يقتصر وجودها على الإنترنت والتي توصف  
بكونها مجتمعات وثقافات نقية أو خالصة، أو وصفت منهجية النتتوجرافيا بأنها  
منهجية مكملية أو مساندة أو معززة لمنهجيات بحثية أخرى في دراستها  
لمجتمعات وثقافات توجد على الإنترنت ولكن تمتد أصولها وجذورها إلى  
مجتمعات وثقافات توجد في العالم الحقيقي، ومن ثم توصف بأنها مجتمعات  
وثقافات مشتقة، أو وصفت النتتوجرافيا بأنها مجرد أداة منهجية استكشافية

لدراسة موضوعات عامة من خلال الإنترنت، تظل أهمية وقيمة منهجية الننتوجرافيا متجسدة في أنها هي المنهجية التي تتفرد بدراسة مجتمعات وثقافات الإنترنت في فضائيات التواصل الاجتماعي، دراسة شاملة ومتعمقة يتيحها لها كون أسلوب الملاحظة بالمشاركة هو جوهر هذه المنهجية، والذي أكسبها شرعيتها ووضعها المتميز ضمن منهجيات البحوث الاجتماعية بعامة، والكيفية منها بخاصة.

## ٢- جوهر منهجية الننتوجرافيا: محددًا لإمكاناتها

إذا كان العامل الأول المحدد لإمكانات وميزات منهجية الننتوجرافيا، هو أن عالم الإنترنت هو مجال وحدود نطاق بحثها، وبالتحديد ما ينشأ ويوجد به من مجتمعات لها كياناتها وثقافتها، فإن وجوه منهجية الننتوجرافيا الذى يقوم على أسلوب الملاحظة بالمشاركة بالتحديد، والذي تم تطويره ليلئم دراسة عالم الإنترنت بمجتمعاته وثقافته، يعد العامل الثانى المحدد لإمكانات وميزات الننتوجرافيا، والتي جاءت غالبيتها فى تحديد روبرت كوزينتس لخصائص منهجية الننتوجرافيا، والتي أوجزها فى خمس خصائص، حيث وصفها بأنها؛ طبيعية Naturalistic، ومتعمقة Immersive، ووصفية Descriptive، ومتعددة المناهج أو الأساليب Multi-Method، وقابلة للتكيف Adaptable<sup>(٤٩)</sup>.

فمنهجية الننتوجرافيا تتميز بأنها "طبيعية"؛ حيث تتبع التعبيرات الاجتماعية كما تظهر عبر الإنترنت مباشرة، وهى "وصفية"؛ حيث توفر الوصف الثرى والكثيف لمجتمعات الإنترنت وثقافتها، فى الوقت ذاته هى "متعمقة"؛ حيث تأخذ الباحث إلى الفهم العميق، للواقع الثرى لحياة الأفراد على الإنترنت وشاشاته، التى يطلق عليها "الحياة على الشاشة"، ولمجتمعات الإنترنت وثقافتها، ولعلاقات وآراء ورؤى واتجاهات وسلوك أعضائها... وما

إلى ذلك من موضوعات نشأت وتتشأ عن التواصل الاجتماعي والاتصالات التي يتوسطها الإنترنت، كذلك تتميز منهجية الننتوجرافيا "بالقدرة على التكيف" مع أشكال وصور ومصادر بياناتها؛ والقدرة على التنقل بسهولة بينها؛ بين النص المكتوب، والمصادر؛ المرسومة، والمصورة، والمسموعة، والمرئية<sup>(٥٠)</sup>. وفي الوقت الذي توصف به منهجية الننتوجرافيا بأنها منهجية مكتملة وكافية في حد ذاتها لدراسة نمط معين من المجتمعات التي توجد على الإنترنت<sup>(٥١)</sup>، إلا أنها تتميز بالقدرة على الاستفادة من أساليب منهجية أخرى- بجانب الأسلوب الأساسى الذى تقوم عليه هذه المنهجية وهو أسلوب الملاحظة بالمشاركة- لإثراء دراستها لهذه المجتمعات؛ مثل أساليب المقابلة أو الاستبانة، والمناقشة الجماعية البؤرية، ودراسة الحالة، فضلا عن المسوح الاجتماعية، بحيث توصف الننتوجرافيا بأنها "متعددة المناهج" أو "متعددة الأساليب المنهجية"<sup>(٥٢)</sup>.

وبهذا تتعدد وتتنوع إمكانات وميزات منهجية الننتوجرافيا التي ترجع أساسا إلى أن جوهر هذه المنهجية هو الاعتماد على أسلوب الملاحظة بالمشاركة، بكل ما يتميز به هذا الأسلوب فى مدخله وفى إجراءاته وخطواته المنهجية وتناوله لموضوع بحثه بعامته، من اتساع وشمول وعمق من جهة، والتوجه الإنسانى والتشاركى والشخصى والاجتماعى والعاطفى للباحث الننتوجرافى من جهة أخرى، سواء فى جمع بياناته أو فى تناولها بالدراسة والتحليل والفهم والتفسير، الأمر الذى أكد أن فعالية الننتوجرافيا كمنهجية كيفية، تكمن فى الحاجة إلى الحضور والتوجه الإنسانى والارتباطات والاتصالات الشخصية عبر الإنترنت<sup>(٥٣)</sup>.



### ٣- حدود منهجية التتوجرافيا

لعل أول حدود للتتوجرافيا كمنهجية، هو أن مجال تطبيقها أو استخدامها محدود ومحدد تماما بالإنترنت، وبالتحديد بما يوجد عليه من مجتمعات وثقافات، وخاصة ما يعرف بمجتمعات الإنترنت وثقافات هذه المجتمعات، وما يطرح فيها من موضوعات وقضايا خلال الاتصالات والمناقشات فى فضائيات التواصل الاجتماعى، وهو أمر طبيعى؛ حيث ابتكرت أو اشتقت منهجية التتوجرافيا لتحقيق هذا الغرض، وقد جاء تعريف روبرت كوزينتس محددًا لذلك حيث عرفها بأنها "منهجية حديثة للبحث الكيفى، التى طوعت تقنيات البحث الإثنوجرافى لدراسة الثقافات والمجتمعات التى انبثقت من خلال الشبكات الإلكترونية"<sup>(٥٤)</sup>.

ومن ثم فإن منهجية التتوجرافيا لا تصلح للتطبيق على المجتمعات والثقافات التى توجد فى العالم الحقيقى، الأمر الذى دفع البعض إلى أن يعيب على التتوجرافيا عجزها عن دراسة الخبرة الإنسانية فى صورتها المتكاملة، أى كما تتبدى فى العالم الحقيقى والعالم الافتراضى معا<sup>(٥٥)</sup>، غير مدركين أن تفرد التتوجرافيا بالقدرة على دراسة مجتمعات وثقافات الإنترنت دراسة متعمقة وشاملة، فى الوقت ذاته قدرتها على التكيف والتكامل مع المنهجيات الأخرى الملائمة لدراسة العالم الحقيقى، يعد من الجوانب الإيجابية لمنهجية التتوجرافيا.

لعل أهم أوجه القصور فى منهجية التتوجرافيا، يرجع إلى أن البحوث التتوجرافية تعتمد كلية فى الحصول على بياناتها على الإنترنت أو عبر الإنترنت، وليس التعامل وجها لوجه مع مصادر هذه البيانات، هنا يشير البعض إلى احتمال عدم صدق البيانات أو تزيفها، حيث إن هوية الأفراد مصدر هذه البيانات؛ سواء مشاركين Participants، أو إخباريين Informants،

عادة غير معروفة، ولا توجد وسيلة للتأكد من الصدق أو الثقة والأمانة في ما يدلون به من بيانات أو معلومات، أو المحاسبة على ما يصدر عنهم من معلومات أو بيانات غير صادقة أو زائفة، فضلا عن ذلك فإن الإنترنت يحول بين الباحث الننتوجرافى، وبين ملاحظة لغة الجسد، وغيرها من إمكانات الملاحظة، والاستبار وجها لوجه، التى تساعده على استشفاف مدى المصادقية فى هذه البيانات، فضلا عن ذلك فإن عدم معرفة هوية المشاركين أيضا وخصائصهم الديموجرافية الاجتماعية، يمثل عائقاً أمام الباحث الننتوجرافى، فى كثير من الأحيان، فى فهم وتحليل البيانات فى علاقتها بهذه الخصائص<sup>(٥٦)</sup>.

لعل من أهم أوجه القصور التى تنسب خطأً إلى منهجية الننتوجرافيا، ترجع إلى إساءة استخدام هذه المنهجية من جانب بعض الباحثين، والتى شجع عليها ما تتميز به هذه المنهجية من الحصول على بيانات البحث عن طريق الإنترنت، ومن ثم السهولة والسرعة وانعدام التكلفة المالية للحصول على بيانات البحث، هذا النمط من الباحثين يكتفى عادة بعدد محدود للغاية من مجتمعات الإنترنت فى بحثه، بل ربما اختيار مجموعات لا يتوافر فيها أصلا خصائص مجتمع الإنترنت محل الدراسة، وقبل هذا أو ذاك، عدم الالتزام بالخطوات وبالقواعد المنهجية التى حددت لإجراء البحث الننتوجرافى، وعادة ما يكتفى هؤلاء بأسلوب الملاحظة المحضة - دون اتباع أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى يعد جوهر منهجية الننتوجرافيا - وبعدد محدود من المجموعات، ولفترة زمنية قصيرة، ثم يدعى هؤلاء الباحثون أنهم أجروا بحثاً ننتوجرافياً لمجتمعات الإنترنت، وفى مدة زمنية قد لا تتجاوز الأسبوع أو الأسبوعين<sup>(٥٧)</sup>.

وقد أدرك العلماء والباحثون حدود الننتوجرافيا التى ترجع إلى منهجية الننتوجرافيا ذاتها، وتلك التى ترجع إلى إساءة استخدام هذه المنهجية.

ففى إطار الوعى بحدود هذه المنهجية، حذر هؤلاء العلماء والباحثون من تعميم النتائج التى بنيت على بحث نتوجرافى يتناول مجتمعات الإنترنت على المجتمع الكلى الحقيقى والافتراضى معاً، دون إدراك للخصوصية الاجتماعية Social Specificity لنمط الأشخاص الذين يستخدمون مصادر الإنترنت أو المنتمين لمجتمعات الإنترنت التى تم بحثها<sup>(٥٨)</sup>.

فمنهجية النتوجرافيا، كأى منهجية أخرى للبحوث الكيفية، حدودها المنهجية معروفة، بالنسبة لإمكانية تعميم النتائج. فنتائج البحث الكيفى عادة تكون قاصرة على عينة البحث، ولا يتم تعميمها إلا فى حدود المجتمع الأسمى الذى اختيرت منه، شريطة اتباع الأساليب العلمية السليمة فى اختيارها. ومناهج البحوث الكيفية عادة لا تهتم بالتعميم فى مقابل ما يتيح الاختيار العمدى لعدد محدود من المجتمعات أو الأفراد، والتى يتبع فى بحثها الأساليب الكيفية المتعمقة، من الوصول إلى رؤية شاملة وفهم عميق ودقيق، فضلا عن الاستبصارات الثقافية التى تساعد على التأويل والتفسير السليم للظاهرة أو الموضوع محل البحث. والنتوجرافيا كمنهجية كيفية، تلجأ غالباً إلى العينات العمدية أو العينات الغرضية Purposive Samples، مع الحرص على تعدد وتنوع مجتمعات الإنترنت التى تشملها عينة البحث، وامتداد الفترة الزمنية فى تتبعها، ولا تلجأ بأى حال من الأحوال إلى تعميم ما توصلت إليه من نتائج على نظيرتها فى المجتمع الحقيقى، فنتائجها محدودة بما درسته من مجتمعات الإنترنت<sup>(٥٩)</sup>.

ونتيجة للحدود المنهجية للنتوجرافيا، والتشكيك فى الثقة فيما تتوصل إليه من نتائج، نظراً لطبيعة مصادر بياناتها من جهة، وإساءة بعض الباحثين لهذه المنهجية من جهة أخرى، كان لا بد من طرح الحلول، وتحديد الإجراءات والتقنيات المنهجية، التى من شأنها أن تعزز منهجية النتوجرافيا، وتحد من

إساءة استخدامها، بدءًا من التحديد الواضح للخطوات المنهجية للنتوجرافيا، وحمية الالتزام بها<sup>(٦٠)</sup>، مرورًا بالإسهاب في توضيح أهم القواعد والتقنيات المنهجية التي على الباحث النتوجرافى مراعاتها؛ متمثلة في حسن اختيار مجتمعات الإنترنت وفضائيات التواصل الاجتماعى، والحرص على الانغماس والتعمق في مجتمع البحث، بالملاحظة بالمشاركة، بحيث يتمثل الباحث ثقافة هذا المجتمع، ويصبح معروفًا كأحد أعضائه، وانتهاءً بالتوجيه إلى استخدام تقنيات جيدة للاستتار، واستمرارية المناقشات والتواصل مع المشاركين والإخباريين لكسب ثقتهم، ومن ثم الاطمئنان إلى ما يدلون به من بيانات ومعلومات<sup>(٦١)</sup>، ومن هنا جاءت أيضا النظرة إلى دور الباحث باعتباره جزءًا أساسيًا أو "أداة أساسية للبحث النتوجرافى The Researcher as Instrument" وجاء التأكيد بأن فعالية النتوجرافيا كمنهجية كيفية، تعتمد على الوجود الإنسانى وعلى الاتصالات الشخصية عبر الإنترنت، وأن "العنصر الأساسى الذى لا يجب إغفاله فى البحث النتوجرافى، الذى يستخدم الوظيفة الاتصالية وللتواصل الاجتماعى وللإنترنت، هو الجانب التشاركى والتأملى والتفاعلى والإيجابى لبحثنا"<sup>(٦٢)</sup>.

لم يقف العلماء والباحثون من المهتمين بالارتقاء بمنهجية النتوجرافيا وإرساء دعائمها، عند تأكيد هذه الأبعاد والجوانب المنهجية، وإنما جاء الحرص من جانبهم على وضع معايير لتقييم البحوث النتوجرافية ليدعم هذا التوجه وليعززه<sup>(٦٣)</sup>.

## خاتمة

فى ظل الاتجاه المتنامى للبحوث الاجتماعية الذى يواكب الانتشار المتسارع لظاهرة التواصل الاجتماعى عبر الإنترنت، جاءت هذه الورقة العلمية لإلقاء الضوء على النتوجرافيا كمنهجية حديثة نسبيًا، وضعت خصيصًا لدراسة

مجتمعات الإنترنت وثقافتها، متخذة من أسلوب الملاحظة بالمشاركة أسلوبها البحثي، أو أسلوباً للبحث ولا تقتصر على استخدام أسلوب الملاحظة، إلا في حالة استحالة استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة، لأسباب قانونية أو لأسباب أخلاقية تحول دون مشاركة الباحث في هذه المجتمعات لدراساتها، كما هو الحال بالنسبة لجماعات الإنترنت التي تروج لأفكار أو لآراء تحض على الإرهاب، أو على أفعال غير قانونية أو غير أخلاقية أو المرفوضة اجتماعياً بعامه، وقد ترجع أيضاً أسباب عدم استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة في دراسة مجتمعات الإنترنت إلى أسباب تتعلق بأخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي، وبالتحديد لعدم حصول الباحث على موافقة مجتمع البحث، وفقاً للقاعدة الأخلاقية التي تستلزم ذلك، والمعروفة بالموافقة المبنية على المعرفة، هنا يثار تساؤل له بعده الأخلاقي؛ وهو إذا كان الباحث في هذه الحالة يلجأ إلى استخدام أسلوب الملاحظة المحضة، فهل هو يخرق هذه القاعدة الأخلاقية، وبهذا ينتقل من دور الباحث إلى دور "المتلصص" كما يذهب البعض؟

هذا التساؤل، وغيره من التساؤلات التي تثيرها البحوث الاجتماعية في مجال التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، والتي لها أبعادها الأخلاقية، والذي نؤكد دائماً بتوضيح أن مناهج البحث العلمي الاجتماعي وأخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي، هما قضيتان مرتبطتان تماماً، بل هما وجهان لعملة واحدة يستحيل، بل يتعذر، فصلهما عن بعضهما، فهما يتكاملان معاً في توجيه وتقييم وتقويم البحث العلمي الاجتماعي<sup>(٦٤)</sup>، بل وفي إكسابه وضعه وشرعيته في مجال البحث العلمي بعامه، الأمر الذي يستلزم تخصيص ورقة علمية، مكتملة لهذه الورقة لطرح ومناقشة أخلاقيات البحث العلمي في مجال بحوث التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت.

## المراجع والهوامش

- ١- ناهد صالح، التواصل الاجتماعي والبحوث الاجتماعية، منهجية الننتوجرافيا "البدايات"،  
المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٥٦، العدد ٣، ٢٠١٩.
- ٢- Wikipedia, Web2, 2018, pp.1-4.  
<https://en.m.wikipedia.org/wiki/web-20>.  
Chouldhury, Nupur, World Wide Web and its Journey from Web 1.0 to Web 4.  
(Igcisit), Uoi.5, No 6, 2014, pp.1-2.  
[www.igcsit.com](http://www.igcsit.com).
- ٣- Kozinets Robert V., Netnography: Doing Ethnographic Research Online,  
London: sage, 2009, pp.8-9.  
<https://www.researchgate.net.../264922181-Netnography-Doing-Ethnographic-Research-Online.Pdf>.
- ٤- Kozinets, Robert V., On Netnography: Initial Reflections on Consumer Research  
of Cyber Culture, 1988, p.1.  
Kozinets, Robert V., The Field Behind The Screen: Using Netnography for  
Marketing Research in Online Communities, 2002, p.1.  
<http://www.nyu.edu/classes/bkg/methods/netnography>.
- ٥- Wikipedia, op. cit. 2018, p.4.
- ٦- لمزيد من التفصيل، انظر الجزء الخاص بالننتوجرافيا والإثنوجرافيا: أوجه التشابه  
والاختلاف. في ناهد صالح، مرجع سبق ذكره. ٢٠١٩، ص ص ٢٠-٢٧.
- ٧- كان أول طرح لمصطلح الننتوجرافيا Netnography في عام ١٩٩٥، حيث ذكر  
كوزينتس أنه في هذا العام بدأ في طرح هذه المنهجية، كمنهجية لبحوث التسويق  
المبنية على استخدام الإنترنت، انظر:
- Kozinets, Robert V., Netnography: The Marketer's Secret Weapon: How Social  
Media Understanding Drives Innovation, 2010, p.3.  
<http://www.ethnographiadigital.it/wp-content/...net.Base.Netnographg-Kozinets-paper.pdf>.
- ٨- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., Netnography: Range of Practices,  
Misperceptions, and Missed Opportunities, (IJQM), 2017, p.2.

<http://Journals.Sag pub.Com/doi/rull/10/1177/160917700644>.

Switha, N., and MsDivya, U., Netnography-A Very Near But Yet So Far Tool for –٩  
Researchers, 2018, p.10.

[www.ijbmi.org/vol.4 Issue g vert//September 248](http://www.ijbmi.org/vol.4 Issue g vert//September 248).

Kozinets, Robert V., op. cit. 2010, p.4. –١٠

Costello, L., McDermott, M., and Wallace R., op.cit., p.3. –١١

وإن كان البعض يرى وضع تحليل مضمون التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، بين

الإثنوجرافيا وتحليل الخطاب وتحليل المضمون كما يستخدم في بحوث الاتصال

Beckmann, S.C., and Langer, R., Netnography: Rich Insights : انظر: الجماهيرى،  
from Online Research, 2005, p.2.

<http://frontpage.cbs.dk/insights/670005.Shtml>.

Switha, N., and MsDivya, U., op.cit., p.9.

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p. 6., p. 13. –١٢

Ibid., p.6. –١٣

Switha, N., and MsDvya, U., op. cit., p.10

١٤- منذ الكتابات الأولى في تحديد منهجية النتوجرافيا، نص على أن أسلوب الملاحظة  
بالمشاركة بمفرداته هو جوهر العمل الميداني للبحث النتوجرافى، وحيث يعترف  
الباحث كأحد أعضاء المجتمع أو الثقافة محل دراسته، انظر:

Kozinets, Robert V., op. cit., 1998, p.2.

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p. 2, p. 14, p. 19. –١٥

Ibid., p.13. –١٦

Kozinets, Robert V., Netnography Analysis: Understanding Culture Through –١٧  
Social Media Data. In Uwe Filch (ed.), Sage Handbook of Qualitative Data  
Analysis, London: Sage, 2014, p. 266.

<https://www.Researchgate.Net/publication,319472120.Netnographic-Analysis-U-Understanding.Culture-through-Social-Media-Data>.

Kozinets, Robert V., op. cit, 2002, p. 1. –١٨

أشار كوزينتس إلى هذه الخطوات المنهجية الست في عام ٢٠٠٢ في تحديده للخطوات التي من شأنها أن تساعد على تحديد أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذي يتبعه الباحث النتنوجرافي، انظر:

Kozinets, Robert V., op. cit., 2002, p. 4.

وفي عام ٢٠١٥، في الطبعة الثانية من كتاب Netnography Redefined، ذكر الخطوات المنهجية للنتنوجرافيا في ١٢ خطوة، حيث تناولت أهم الجوانب المنهجية للخطوات الست الأساسية، انظر:

Kozinets, Robert V., Netnography Redefined. London: Sage, p. 19.

<https://Uksagepub.Com/sites/default/files/upm-binaries/96762-Netnography.Pdf>.

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, p.265. -١٩

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.5. -٢٠

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp. 265-266

ibid., p.265. -٢١

في بداية كتابات كوزينتس عن منهجية النتنوجرافيا سمي هذه المرحلة Cultural Entrte، ثم لم يلبث أن استبدل هذا المصطلح بمصطلح الدخول الثقافي Cultural Entrée انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.3.

-٢٢ في بدايات تحديد معالم منهجية النتنوجرافيا، وفي عام ٢٠٠٢، أشار كوزينتس إلى أنه يمكن تطبيق منهجية النتنوجرافيا بالاكتهاف بهذه الخطوة، فالنتنوجرافيا يمكن إجراؤها باستخدام الملاحظة فقط وإنزال البيانات، ودون كتابة أي ملاحظة ميدانية "Field note" إلا أنه تم العدول عن هذا الموقف فيما بعد، انظر:

Kozinets, Rohert V., 2002, p.4, p.6.

Kozinets, Robert V., 2014, p.266.

Vasquez, Camilla and kulavuz Onal, Derya. Netnography: Doing Ethnographic Research Online by Kozinets, Robert V., 2012. p.2. -٢٣

<http:// Onlinelibrarg.Com/doi/10.111.1540-4781.0212. 7319.X/ Full>.



من أهم ما أشارت إليه كاميليا فاسكوز في عرضها لكتاب كوزينتس هذا، أنه أغفل بيان الخطوة المنهجية التي توضح كيفية خروج الباحث النتوجرافي من مجتمع الإنترنت بعد الانتهاء من دراسته، حيث الوضع يختلف عنه في حالة البحث الإثنوجرافي.

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, p.66. -٢٤

Loc. Cit. -٢٥

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp.266-268. -٢٦

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.5. -٢٧

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp.266-267.

Ibid., p. 266. -٢٨

في بداية منهجية النتوجرافيا أطلق كوزينتس على هذا النمط من الاستبار مصطلح الاستبار السيبراني Cyber- Interview، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp13-14.

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, pp.4-8. -٢٩

Loc.Cit. -٣٠

٣١- مصطلح المشاركين participants هو المصطلح العلمي للدلالة على الأفراد الذين تشملهم عينة البحث الكيفي، ولهذا المصطلح دلالاته، حيث ينظر إلى البحث كعمل "تشاركي" بين الباحث وهؤلاء الأشخاص الذين هم مصدر بياناته، وليس كعمل انفرادي للباحث، في حين يطلق على هؤلاء مصطلح Respondents، حيث يقتصر دورهم في البحث الكمي على "الاستجابة" للأسئلة التي يطرحها الباحث.

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op.cit., 2017, pp. 16-17. -٣٢

Kozinets, Robert, V., op.cit., 2002, p.8

٣٣- ونظرا لأهمية البعد الأخلاقي في منهجية النتوجرافيا، حرص كوزينتس منذ البدايات الأولى لطرح هذه المنهجية، على الاهتمام بالقواعد الأخلاقية التي يجب مراعاتها والالتزام بها في البحث النتوجرافي، والتي شخصها في أربع قواعد. انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.9.

٣٤- في الكتابات العلمية التي تناولت منهجية النتوجرافيا، تعددت المصطلحات التي تناولت هذه المنهجية، حيث وصفت بأنها: منهج Method، أو أسلوب منهجي أو تقنية Technique، أو أداة Tool، أو مدخل Approach، ومصطلح مدخل هو الأدق، ويميز حالياً البعض بين أربعة مداخل لمنهجية النتوجرافيا هي: المدخل الرمزي Symbolic، والمدخل الرقمي Digital، والمدخل الذاتي Auto، والمدخل الإنساني Humanist. لمزيد من التفصيل انظر: الفصل الرابع عشر في:

Kozinets, Robert V., Netnography: Redefined, London, Sage, 2015.

٣٥- منذ بدايات طرح منهجية النتوجرافيا، في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين، أشير إلى إمكانية استعانة النتوجرافيا بأساليب بحثية أخرى بجانب أسلوب الملاحظة بالمشاركة، كأساليب معززة أو مساعدة أو ملحقة، ورغم ذلك فإن منهجية النتوجرافيا تعد منهجية قائمة بمفردها Stand Alone Methodology، ومنهجية كافية ومكتفية بذاتها.

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp.7-8.

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op.cit., pp.17-18.

٣٦- في الكتابات العلمية المبكرة، التي حددت مجال منهجية النتوجرافيا، كان يستخدم مصطلح "الثقافة السيبرانية" ومصطلح "المجتمع الافتراضي"، ثم استبدلا بمصطلح ثقافة الإنترنت، ومجتمع الإنترنت، فالإنترنت هو مصدر نشأتها ومكان وجودها وتواجدهما، والنتوجرافيا تتجه أساساً إلى دراسة مجتمعات الإنترنت وثقافتها، والتي حرص العلماء على تحديد خصائصها المميزة لها عن خصائص التجمعات الاجتماعية الأخرى على الإنترنت، والتي لا تختص النتوجرافيا أساساً بدراستها.

Kozinets, Robert V., op. cit., 2002, pp. 2-3.

٣٧-

حيث ذكر كوزينيس في بداية تناوله لأصول النتوجرافيا، أن "النتوجرافيا" أو الأنتوجرافيا على الإنترنت، هي منهجية حديثة للبحث الكيفي، التي طوعت تقنيات البحث الإثنوجرافي لدراسة الثقافات والمجتمعات التي تنبثق من خلال الاتصالات التي يتوسطها الحاسب الآلي.

٣٨- منذ بداية طرح منهجية التتوجرافيا، كان هناك حرص على تحديد مجال ونطاق  
بحوثها بأنه "الحياة على الشاشة"، حددت في البداية بشاشة الحاسب الآلى، ثم  
استبدلت بالشاشات الإلكترونية، حيث لم يعد الإنترنت قاصرا على أجهزة الحاسب  
الآلى. كما كان هناك حرص أيضا على تحديد الأنماط الثلاثة للدراسات التى يستفاد  
من منهجية التتوجرافيا فى دراستها انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.5.

Costello, L., McDormett, M., and Wallace, R., op. cit., p .6. -٣٩

٤٠- لمزيد من التفصيل عن الاختلافات بين منهجية التتوجرافيا والأساليب البحثية الأخرى،  
التى ترجع إلى أن مصدر بيانات التتوجرافيا هو الإنترنت، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, pp.2-3.

Kozinets, Robert V., op.cit., 2010, p.2.

Beckmann , S.C and langer, R., op. cit., p.3. -٤١

Kozinets, Robert V., op.cit., 2010, p.2. -٤٢

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.5.

Ibid., p.7 -٤٣

Loc. Cit. -٤٤

Swetha, N., and MsDivya, U., op.cit., p.9. -٤٥

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, p.5. p.8. -٤٦

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.8. -٤٧

Ibid. p 5. - ٤٨

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.4. -٤٩

Loc.cit. -٥٠

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.7. -٥١

- 52- Kozinets, Robert V., op.cit., 2010, p.4.
- 53- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op.cit., p.2.
- 54- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.2.
- 55- لا يمكن الفصل كلية بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي في البحوث الننتوجرافية، إذ أن أعضاء مجتمعات الإنترنت يحملون إلى هذه المجتمعات أوضاعهم وثقافتهم وروايم وقيمهم واتجاهاتهم وآرائهم، والتي تنعكس بالضرورة على مناقشاتهم وتواصلهم عبر منصات ومواقع التواصل الاجتماعي.
- 56- منذ بداية الننتوجرافيا، يفضل استخدام مصطلح الجدارة بالثقة Trustworthiness عن استخدام مصطلح المصادقية Validity انظر:
- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.7.
- بالإضافة إلى ذلك فقد وصفت نتائج البحوث الننتوجرافية، في مقارنتها بنتائج البحوث التي تستخدم منهجيات بحثية أخرى، بأنها تفضلها من حيث الثقة بها. انظر:
- Switha, N. and MsDivya, U., op.cit., p.10.
- 57- أيضاً منذ بداية طرح منهجية الننتوجرافيا، تم التحذير من هذا النمط من البحوث التي تدعى استخدام منهجية الننتوجرافيا، والتي لا يتبع فيها القواعد والخطوات المنهجية للبحث الننتوجرافي، انظر:
- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp.8-9.
- ولا يزال الاهتمام بموضوع إدعاء بعض البحوث بأنها تستخدم منهجية الننتوجرافيا، أو بأنها بحوث ننتوجرافية قائماً، انظر:
- Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p.2.
- 58- Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, pp.9-10.
- 59- Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, pp.7-8.
- 60- يرجع الفضل إلى كوزينتس في وضع الخطوات المنهجية للننتوجرافيا التي حددها بست خطوات في عام ٢٠٠٢، ثم لم يلبث في عام ٢٠١٥ أن عززها، حيث أورد اثنتي عشرة عملية منهجية، والتي على الباحث الننتوجرافي مراعاتها، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2002, p.4.

Wikipedia Netnography.op.cit., 2017, pp.6-7.

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.4, p12. pp.16-17. -٦١

Costello, L., McDermott, M., and Wallace, R., op. cit., p.19. -٦٢

Kozinets, Robert V., op.cit., 1998, p.4., p.17.

٦٣- على سبيل المثال اهتم كوزينتس بوضع عشرة معايير يتم بمقتضاها الحكم على جودة التحليل النتوجرافي، هذا التحليل الذي من شأنه الحفاظ على النوعية الثقافية لظاهرة التواصل الاجتماعي؛ من خلال مراعاة الباحث لدوره ولذكائه الاجتماعي، طوال عملية البحث العلمي الاجتماعي عبر الإنترنت، انظر:

Kozinets, Robert V., op.cit., 2014, pp.244-275.

٦٤- ناهد صالح، مرجع سبق ذكره، ص ١.

#### Abstract

### SOCIAL MEDIA AND SOCIAL RESEARCHES NETNOGRAPHY METHODOLOGY METHODS AND PROCEDURES

**Nahed Saleh**

This paper is an extension to a previous one that tackled the beginnings of netnography since 1990s.

In this paper, we tackle the methods of netnography from three dimensions. The first is the essence that depends on the observation through participation. The second is the methodological steps of the netnography research. The Third highlights its methodological limits. In the end, The paper is affirming the moral aspects of using netnography.

